أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

تقدير موقف

تمرد فاغنر
أسبابه وانعكاساته الداخلية والخارجية

إعداد: أحمد دهشان

تموز/يوليو 2023
dimensioncenter.net

أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

مركز تفكير يُعنى بدراسة شؤون منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ويُقدّم للقارئ العربي رؤية موضوعية لشؤون المنطقة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
ويسعى المركز إلى تقديم محتوى يخاطب المختصين والمهتمين، بلغة بعيدة عن لغة الخبراء والفنيين والأكاديميين، وبتكثيف يتناسب مع متطلبات العصر الحديث، وما يستلزمه من إيجاز يُلبي احتياجات الباحثين والقراء.

www.dimensionscenter.net

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز أبعاد للدراسات الاستراتيجية — ©2023
info@dimensionscenter.net

تمهيد

في عام 2014، وبالتحديد بعد ضم روسيا شبه جزيرة القرم، وبدء حلفائها تمردهم المسلح في إقليم دونباس، جنوب شرق أوكرانيا، بدأ الظهور الأول لمجموعة "فاغنر" الروسية شِبه العسكرية [1]. بعد ذلك توالت التقارير عن ظهور المجموعة المسلحة في عدة نقاط ساخنة أخرى حول العالم، بالتحديد في: سورية، وفنزويلا، وإقليم كوسوفو، وبعض بلدان الساحل الإفريقي[2] .

وفرت العملية العسكرية التي أطلقتها روسيا ضد أوكرانيا مناسبة جديدة لقفز مجموعة فاغنر لواجهة الأحداث، حيث دخلت خط المواجهات في منطقة باخموت بإقليم الدونباس، وحققت تقدُّماً ميدانياً في المنطقة، ثم استحوذت المجموعة على اهتمام محلي ودولي بعد تصعيدها التدريجي ضد المؤسسة العسكرية الروسية الرسمية واتهام قادتها بالخيانة، والذي تحول في شهر حزيران/ يونيو 2023 إلى تمرد مسلح انطلق من مدينة روستوف جنوب البلاد، بهدف دخول موسكو والإطاحة بوزير الدفاع ورئيس هيئة الأركان [3].

رغم انتهاء تمرد فاغنر بعد يوم واحد فقط من إعلانه، وبوساطة من رئيس بيلاروسيا لوكاشنكو، لكنه طرح أسئلة حول مدى سيطرة بوتين على زمام الأمور داخلياً، والآثار العامة التي ستتركها الحادثة.

نتناول في هذا التقرير الأسباب التي أدت إلى تمرد مجموعة فاغنر، ودفعتها للتحرك عسكرياً ودخول العاصمة موسكو، بالإضافة إلى استعراض تأثير تمردها على سلطة بوتين الداخلية، والآثار المحتملة على نفوذ روسيا الخارجي.

(1) By: Stanislav Iasynskyi - Wagner mercenaries: what we know about Putin's private army in Donbas - Euromaidan Press-[Online]-2017/10/19, **الرابط**
تقرير: ستانيسلاف ياسينسكي: جيش بوتين الخاص.. ما يجب أن يعرفه الأوكرانيون عن شركة فاغنر، التي يقاتل مقاتلوها في دونباس، دار نشر الميدان الأوروبي "أوكرانيا"- 19 تشرين الأول (أكتوبر) 2017.

(2) By: PAUL STRONSKI - Russia's Growing Footprint in Africa's Sahel Region - Carnegie Endowment for International Peace -[Online]-FEBRUARY 28, 2023, **الرابط**
تقرير: بول سترونسكي: البصمة الروسية المتنامية في منطقة الساحل الإفريقي- مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي- 28 شباط (فبراير) 2023.

(3) قائد مجموعة فاغنر يزعم السيطرة على المواقع العسكرية الروسية في روستوف، BBC، 23 حزيران/ يونيو 2023، **الرابط**

أولاً: أسباب تمرد فاغنر

يمتلك بريغوجين استثمارات مزدهرة في الداخل الروسي، وانتشارًا في أكثر من 12 دولة حول العالم، ويتعامل - تعاملاً مباشرًا - مع قادة الدول والفصائل المسلحة، لا يكلف خزينة الدولة الروسية شيئًا يُذكر، ويتقاضى ملايين الدولارات من خلال حصوله على موارد طبيعية يعيد بيعها وتدويرها من خلال شبكة شركاته، وهو يمنح الكرملين نفوذًا جيوسياسيًّا دون تحمل أعباء كبرى. وَفْق هذه المعادلة نشأت علاقة "تخادم" و/أو "تكامل" مربحة لِكلا الطرفين.

تميز عمل بريغوجين في الخارج بأنه "سيد" الموقف، وصاحب القرار في عقد هذه الصفقات، وإدارة الصراعات العسكرية، حيث لا وجود مباشرًا لقوات من الجيش الروسي، حتى في الحالة السورية، اقتصر الوجود العسكري الروسي على الطيران، وقوات مشاة من الشرطة العسكرية للحراسة، دون وجود قوات مقاتلة على الأرض تزاحمه أو يتصادم معها بشأن الصلاحيات والخطط.

خيار الحرب في أوكرانيا لم يكن مفضلاً لدى بريغوجين؛ لأنه من ناحية عطل خططه في التوسع الخارجي في مرحلة شهدت طلبًا كبيرًا على قواته في إفريقيا، ومن ناحية أخرى، أصبح تحت رحمة وزارة الدفاع الروسية، لكنه أُجبر على الانخراط في هذه المعركة كضريبة يدفعها إلى الكرملين، مقابل ما حصل عليه من امتيازات.

بعدما تبين أن خطط الاستحواذ السريع على أوكرانيا قد فشلت، وأن الحرب سيطول أمدها، لجأ بريغوجين إلى خيار التوسع في تجنيد السجناء؛ حتى لا يضطر إلى استدعاء قواته من الخارج، ويخسر مواقعه التي استحوذ عليها، وما تدرّه من ثروات. في هذه المرحلة تحديدًا، بدأ أول الصدامات مع قيادة الجيش، عندما قررت الأخيرة الاستفادة من قانون العفو العام عن السجناء مقابل الانخراط في القتال في أوكرانيا، لتوقيع عقود مع الجيش [4]، وهو ما دفع بريغوجين إلى الإعلان في شباط/ فبراير 2023، عن "وقت تجنيد السجناء لصالح مجموعة فاغنر"، نتيجة مزاحمة الجيش له على هذا المورد البشري [5].

(4) Авторы: Ольга Ившина, Анастасия Лотарева И Сергей Горяшко - Убойная сила: как Минобороны России вербует заключенных из колоний - BBC News -[Online]-3 мая 2023, **الرابط**
تقرير: أولغا إيفشينا وأناستاسيا لوتاريفا وسيرجي غورياشكو: كيف تجند وزارة الدفاع الروسية المساجين؟ - شبكة (بي بي سي) - 3 أيار (مايو) 2023.

(5) Автор: Алиса Андреева - Евгений Пригожин заявил о прекращении набора заключенных в ЧВК «Вагнер» -[Online]-Газета - 09 февраля 2023, **الرابط**
تقرير: أليسا أندريفا: يفغيني بريغوزين يعلن إنهاء تجنيد السجناء في شركة "فاغنر" العسكرية- جريدة غازيتا "روسيا"- 9 شباط (فبراير) 2023.

رغم كل التقارير التي تم تداولها عن علاقة بريغوجين بمجموعة فاغنر، لم يكن هناك دليل مادي على ذلك، واستمر في الإنكار، لكن مع بدء روسيا الحرب في أوكرانيا، واستدعائه للمشاركة فيها، لم يعد هذا الإنكار ذا معنى، وهو ما دفعه إلى الإعلان صراحةً في 26 أيلول/ سبتمبر 2022، أنه "شارك في تأسيس فاغنر منذ اللحظة الأولى، ويتولى قيادتها" [6]. شكّل هذا الوضع مزيدًا من الضغط على بريغوجين، وأغلق أمامه الأبواب في بقية العالم، وأصبح أسيرًا للبيروقراطية الروسية، وفقد ما كان يتمتع به من مرونة سابقة.

دأب بريغوجين، منذ أيار/ مايو 2022، على مهاجمة قيادة الجيش الروسي، ممثلة في وزير الدفاع، ورئيس هيئة الأركان، وصولاً إلى السخرية منهما وإهانتهما بألفاظ نابية، لكن مع ذلك، لم يتدخل الكرملين، ولم يعلق بالرفض، أو حتى توبيخ بريغوجين عليها، أو طلب التوقف عنها. الأغرب عندما أراد المتحدث الرسمي باسم الكرملين، ديمتري بيسكوف، إبراز "وطنية" عائلته، دفع نجله نيقولاي بيسكوف إلى التطوع للقتال في أوكرانيا، ولكن تحت مظلة مجموعة فاغنر، ولم يتطوع داخل صفوف الجيش الروسي، وذلك في الوقت الذي اشتد فيه هجوم بريغوجين على قادة الجيش [7]. فُسر هذا الإعلان أنه إشارة دعم من الكرملين لفاغنر، وهو ما منح بريغوجين مزيدًا من الجرأة على انتقاد قيادة الجيش.

منذ أيلول/ سبتمبر 2022، لم يحقق الجيش الروسي أي نجاح عسكري على الأرض، وجميع النجاحات التي تحققت بعد هذا التاريخ، سواء بالاستحواذ على أراضٍ جديدة، أو صد لهجمات أوكرانية، كان لفاغنر الفضل الأول والأخير فيها. أثار هذا الوضع غضب شويغو وغيراسيموف على بريغوجين -وربما حسدهما- بالتزامن مع اشتداد النقد للمؤسسة العسكرية الرسمية من جانب النشطاء الروس وداعمي الحرب من القوميين، وإشادتهم الدائمة بقوات فاغنر، خاصة مع زيادة خسائر الجيش الروسي وتعرضه لضربات مؤثرة من الجيش الأوكراني [8]، وهو ما دفع قيادة الجيش فيما يبدو إلى تأخير تسليم الأسلحة والذخيرة لبريغوجين، وتعرضه لعدة مضايقات، وصولًا إلى ضغط الجيش على الكرملين للدمج الكامل لمجموعة فاغنر، التي تقاتل في أوكرانيا، وهو ما اعتبره بريغوجين تحديًا له ولسلطته من جانب شويغو وغيراسيموف، وخطوة أولى في طريق التخلص منه، والاستحواذ الكامل على فاغنر وأنشطتها في بقية بلدان العالم، لا أوكرانيا وحسب [9].

(6) Автор: Голос Америки - Пригожин признал, что основал ЧВК «Вагнер» -[Online]-26 Сентябрь, 2022, **الرابط**
تقرير: إذاعة صوت أمريكا- بريغوزين يعترف بتأسيسه مجموعة فاغنر- 26 أيلول (سبتمبر) 2022.
(7) Автор: ЭММА ГРИБОВА - Военкор Косарев опубликовал фото сына Пескова в ЧВК "Вагнер" - Московский Комсомолец -[Online]-22.04.2023, **الرابط**
تقرير: إيما غريبوفا: صورة نجل بيسكوف في "فاغنر"- صحيفة موسكوفسكي كومسومولیتس "روسيا"- 22 نيسان (إبريل) 2023.
(8) غضب في روسيا بعد ضربة أوكرانية موجعة، الجزيرة نت، 3 كانون الثاني/ يونيو 2023، **الرابط**
(9) رئيس فاغنر يتهم هيئة الأركان العامة بعدم إرسال ما يكفي من الذخائر إلى قواته، بيان عسكري، 5 أيار/ مايو 2023، **الرابط**

قرار شويغو وغيراسيموف الضغط على فاغنر، يضاف له سبب آخر غير الذي سبق ذكره، وهو تعاظم نفوذ بريغوجين الإعلامي داخل روسيا ، إذ كان بريغوجين قبل الحرب مجرد شخصية هامشية في الداخل الروسي، يتردد اسمه غالبًا في الصحف الغربية، ولا يوجد لدى الروس اهتمام بمتابعة أخباره، لكن بعد الحرب أصبح بريغوجين محط اهتمام الداخل الروسي، لا ينازعه في الشعبية سوى بوتين، ويُنظر إليه على أنه مثال للشخصية الوطنية المعبرة عن "ضمير المجتمع"، والمنحاز إلى عموم الشعب ضد الأوليغارشية المستفيدة من الكرملين، التي ثبت عجزها عند المواجهة [10]. كما لا يخفى أن بريغوجين قد تمكن من شراء ولاء كثير من المراسلين العسكريين، الذين تحولوا للترويج له ولفاغنر بدلاً من الترويج للجيش وقيادته، وهو ما أضعف شويغو كثيرًا في ظل عدم احترام وكراهية قطاع عريض من العسكريين المحترفين داخل الجيش له؛ لأنهم يرونه شخصًا غير مؤهل لتولي القيادة [11]. يمثل شويغو ثقلاً لا يُستهان به بالنظر إلى أن عمره السياسي يسبق بوتين بعدة سنوات، حيث بدأ يتولى مناصب قيادية مهمة منذ عام 1978، وخلفه مجموعة مصالح كبرى تراه ممثلها في السلطة للحفاظ عليها، وهو ما دفع هذا الفريق إلى الضغط للتخلص من بريغوجين، وربما نصب فخّ له. أدرك الأخير ذلك جيدًا، وسعى أن يسبقهم بهذه الخطوة [12].

(10) Автор: Денис Волков - НЕ ВИДНО КОНЦА: ПОЧЕМУ РОССИЯНЕ НЕ ЖДУТ СКОРОГО ЗАВЕРШЕНИЯ КОНФЛИКТА НА УКРАИНЕ - Левада-Центр-[Online]- 05.06.2023, **الرابط**

تقرير: دينيس فولكوف، لماذا لا ينتظر الروس نهاية قريبة للصراع في أوكرانيا، مركز ليفادا، 5 حزيران/ يونيو2023.

(11) Источник: Meduza - Как работала медиаимперия Пригожина? - Meduza -[Online]-6 июля 2023, **الرابط**

كيف عملت إمبراطورية بريغوجين الإعلامية؟ شبكة ميدوزا الاستقصائية الروسية، 6 حزيران/ يونيو 2023.

(12) Автор: Екатерина Лазарева - Элиты начали борьбу за деньги на новые города Шойгу и Трутнева - URA- [Online]-06 сентября 2021, **الرابط**

- Смотрите также: Как "победил" клан Шойгу - Полит -[Online]-10 сентября 2013, **الرابط**

تقرير: إيكاترينا لازاريفا، صراع النخب من أجل المال بين شويغو وتروتنيف، شبكة (URA)6 الإخبارية الروسية، أيلول/ سبتمبر 2021.

- انظر أيضًا: كيف "انتصرت" عشيرة شويغو، شبكة بوليت للأنباء "روسيا، 10 أيلول/ سبتمبر 2013.

ثانياً: انعكاسات تمرد فاغنر على سلطة بوتين الداخلية

معادلة السلطة في روسيا راسخة منذ إعلان إيفان الرهيب، نفسه قيصرًا عام 1547، وتشمل طبقة البويار (النبلاء)، الجيش، القوى الأمنية، الكنيسة الأرثوذكسية. والشعب كان ومازال خارج هذه المعادلة، التي ربما يحدث من حين إلى آخر تغيراً في بعض أطرافها. على سبيل المثال، حل المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي، محل الكنيسة حتى عودة الأخيرة لممارسة دورها منذ العام 1991، وإن كان بشكل أقل مما كانت عليه في الماضي [13].

دور الحاكم في روسيا إدارة هذه التناقضات والصراعات، التي يعمل في الكثير من الأحيان على تغذيتها لضمان سلطته، وكلما كان مقبولاً وقادراً على حل و/أو قمع هذه النزاعات، كلما تمتع بالشرعية والقبول، والقدرة على الحكم [14]، وَفْق المقولة الشهيرة "السلطان إما في القصر وإما في القبر".

بغض النظر عن كل الفرضيات التي تم الحديث عنها منذ بدء هذا التمرد، فإن حدوثه في حدّ ذاته وبهذا الشكل دليل على ضعف سلطة بوتين، وتراجع قدرته على إدارة التناقضات والصراعات بين النخبة الحاكمة. كما أن التوازن الذي سعى للحفاظ عليه طيلة الأعوام السابقة، قد اختل إلى حد كبير بعدما تمكن وزير الدفاع سيرجي شويغو والنخب المجتمعة حوله داخل الجيش وخارجه من القضاء على استقلالية فاغنر[15] وتصريحات بريغوجين المزعجة. [16] من ناحية ظهر ضعف المؤسسة العسكرية وشويغو أمام الشعب وتعرض للإهانات العلنية، لكن من ناحية أخرى عزز مواقعه في الجيش وداخل صفوف النخبة، بينما أصبح بوتين إلى حد كبير مجبراً على مجاراة القوى الأمنية والعسكرية النظامية، التي لا يضمن ولاءها، خاصة بعد أن ظهر عدم إحكام قبضته على قوة رادعة كانت تدين له بالولاء، ويمكن له أن يلوح بها في مواجهة أي توافُق محتمل على اختيار شخص آخر يحل محله [17].

(13) Автор: Буряков Сергей Константинович И Филимонов Александр Григорьевич - ПРИРОДА РУССКОГО ГОСУДАРСТВА И ПРОЦЕСС ДЕМОКРАТИЧЕСКИХ ПРЕОБРАЗОВАНИЙ - Текст научной статьи по специальности «Политологические науки» - CyberLeninka - [Online],**الرابط**
المؤلفون: بورياكوف سيرغي كونستانتينوفيتش وفليمونوف ألكسندر غريغوريفيتش، طبيعة الدولة الروسية وعملية التحولات الديمقراطية، ورقة بحث أكاديمية في العلوم السياسية - مكتبة (CyberLeninka) الأكاديمية الروسية.

(14) Автор: Важа ТАВБЕРИДЗЕ - «Война кланов за трон Путина началась». Интервью с российским журналистом-расследователем - Интервью с РОМАН АНИН - Радио Азаттык-[Online]-25 мая 2023, **الرابط**
تقرير: فاجا تافبريدزي ، حرب العشائر على عرش بوتين ، مقابلة مع الباحث الروسي رومان أنين، راديو أزاتيك ، 25 أيار/ مايو2023.

(15) АНАЛИТИКА: ЧТО ГОВОРИТ ИСХОД КОНФЛИКТА ГЕРАСИМОВА И ПРИГОЖИНА О НАСТОЯЩЕМ И БУДУЩЕМ ВОЙНЫ В УКРАИНЕ - RE-RUSSIA - 17 апреля 2023,**الرابط**
تحليل: نتيجة صراع غيراسيموف وبريغوجين حول حاضر ومستقبل الحرب في أوكرانيا ، منصة (RE-RUSSIA) للدراسات "روسيا" ، 17 نيسان/ إبريل 2023.

(16) By: Paul Goble - Wagner PMC Exemplifies How Putin Has Destroyed Russian State, Publication: Eurasia Daily Monitor Volume: 20 Issue: 109 - Jamestown Foundation -[Online]-July 7,2023, **الرابط**
تحليل: بول غوبل، كيف دمر بوتين الدولة الروسية ، المنشور: (Eurasia Daily Monitor Volume: 20 Issue)، مؤسسة جيمستاون، 7 تموز/ يوليو2023.

(17) Автор: Бориса Кагарлицкого - Кагарлицкий letters - Телеграмма - 3 июля 2023,**الرابط**
تحليل: عالم الاجتماع السياسي الروسي (بوريس كاغارليتسكي)، القناة الشخصية (تلجرام)، 3 تموز/ يوليو2023.

ثالثاً: انعكاسات تمرد فاغنر على نفوذ روسيا الخارجي

لا يتوقع - على المدى المتوسط على الأقل- تأثر أعمال فاغنر في إفريقيا، وأماكن تواجدها الأخرى، لقد حققت المجموعة توسعًا في بلدان الساحل الإفريقي، عجزت عنه السياسة الروسية طيلة حكم بوتين. رأس المال الجيوسياسي الذي ربحته روسيا لا يمكن التفريط فيه بسهولة، وهو ما قد يكون -إلى حد كبير- أحد الدوافع الرئيسية لعدم توجيه بوتين اتهامًا مباشرًا إلى بريغوجين.

أكد وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف أن موسكو "لن تترك شركاءها الأفارقة". أكدت المتحدثة باسم الخارجية ماريا زاخاروفا هذا الأمر بالقول: "إن مسألة ما إذا كانت فاغنر ستواصل العمل في إفريقيا، يجب أن تقررها حكومات البلدان التي توجد فيها الشركات العسكرية الخاصة" [18]، في حين أعلن فيديل جوانجيكا [19]، مستشار رئيس إفريقيا الوسطى، في حوار مع صحيفة فاينانشال تايمز، أنهم سيتعاملون مع "أي طرف ترسله موسكو إليهم، سواء ظلت فاغنر، أو أرسلوا بيتهوفين أو موزارت".

في سورية قد يختلف الوضع عن بقية المناطق التي تتواجد فيها فاغنر، حيث يتواجد الجيش الروسي هناك بشكل مباشر، كما أن العمليات العسكرية متوقفة تقريباً منذ سنوات، ولذلك فقد عمد الجيش الروسي بعيد تمرد فاغنر إلى إغلاق قواعدها في سورية واعتقال قادتها هناك.

مقاتلو فاغنر في الخارج هم الأكثر احترافية، وأصبح لديهم خبرة في التعامل مع التحديات الأمنية، والتفاعل مع الجهات المحلية في البلدان التي يعملون فيها. لا يوجد لدى الجيش، ولا أي شركة روسية عسكرية خاصة أخرى هذه الميزات، كما أنهم كانوا بمعزل عن محاولة التمرد الأخيرة إلى حد كبير، ربما سيتعزز وجود فاغنر في ظل انسحابها من دائرة الصراع في أوكرانيا، وستوجه طاقاتها بشكل أكبر إلى أنشطتها الخارجية التي أُسِّسَت من أجلها.

(18) Авторы: Марианна Беленькая - А-а, в Африке «Вагнер» вот такой ширины - Коммерсантъ - [Online]-30.06.2023, **الرابط**
تقرير: ماريانا بيلنكايا: مستقبل فاغنر في إفريقيا- صحيفة كوميرسانت "روسيا"، 30 حزيران/ يونيو2023.

(19) Wagner's future in Africa in question after Russian mutiny, Financial Times, June 28, 2023: **link**

خاتمة

تأسست فاغنر وغيرها من الشركات الخاصة لكي تكون ذراعًا عسكرية لخدمة الأهداف الجيوسياسية لروسيا، وخوض حروب بالوكالة، على غرار ما كانت تقوم به السياسة السوفيتية، لكن هذه المرة دون شعارات أممية، أو دعاوى "تحرر وطني".

بدأ التفكير في تأسيس هذه الكيانات العسكرية الخاصة منذ عام 2010؛ من خلال الاستعانة بخبرات إيبين بارلو، وهو أحد قادة حرب العصابات وتجنيد المرتزقة في ظل نظام الفصل العنصري المقيت في جنوب إفريقيا، وكان "الفيلق السلافي" التجربة الأولى، حيث حمل اسمًا ذا طابع قومي، وتولى إدارته الضابط السابق في الجيش الروسي ديمتري أوتكين ذو الميول الفاشية الذي أصبح فيما بعد أحد مؤسسي فاغنر.

بالنظر إلى القادة المؤسسين لفاغنر وغيرها من الشركات العسكرية، نجد أن القاسم المشترك بينهم هو سمعتهم السيئة، وسجلهم الإجرامي السابق، وهو ما يشير إلى تفضيل الكرملين أسلوب "كامبرامات" (Компромат)، وهو أحد الأساليب التي كانت متبعة لدى المخابرات السوفيتية (KGB)، في اختيار قيادات موصومة، أو بعد ابتزازها بأدلة إدانة، ومساومتها لضمان ولائها وعدم انقلابها.

ضمن بوتين بقاءه في السلطة وفق قواعد اللعبة الروسية؛ من خلال قدرته على إدارة التناقضات بين العشائر المختلفة، وقبولهم به "مُحكِّمًا" في نزاعاتهم على السلطة والثروة، وتصعيد قيادات عليا في الجيش لا تتمتع بالخبرة أو القبول أو الاحترام أو الشعبية؛ لضمان عدم قدرتها على التحكم فيه، بالإضافة إلى تشكيل هياكل عسكرية مقابلة، مثل خدمة الحراسة الاتحادية (FSO)، التي تشكلت عام 1996 لحماية يلتسن من أي محاولة انقلابية بعد فشله في حرب الشيشان الأولى (1994- 1996)، وسخط العسكريين والقوميين عليه، وأضاف بوتين جهازًا آخر، هو الحرس الوطني الروسي، الذي أسسه عام 2016، إلى جانب توزيع القوى بين جهاز الأمن الفيدرالي الروسي (FSB)، وجهاز المخابرات الخارجية (SVR)، والقوات المسلحة للاتحاد الروسي.

منح بوتين، رمضان قديروف سلطات سياسية واسعة في الشيشان، وحكمًا فيدراليًّا حقيقيًّا، ودعمًا لتأسيس قوة عسكرية (قاديروفتسي)، وضمها كجزء من الحرس الوطني الروسي، ثم جاءت الخطوة الأخيرة بتضخيم عدد قوات فاغنر، وقوامها من المجرمين والعسكريين السابقين الذين يحتقرون قيادة الجيش الحالية.

كل ما سبق أدى إلى تضارب الأجهزة الأمنية والعسكرية القديمة وتنافسها مع بعضها بعضاً، وإدخال عنصر غريب يتمثل بالقوات الشيشانية، لإنعاش الذاكرة الروسية بما لاقاه الروس من مقاومة الشيشانيين في فترة التمرد بالتسعينيات، والتأكيد أن بوتين وحده هو الضمانة للسلام في الشيشان، وبقائها جزءًا من الاتحاد الروسي. عبر هذا المعادلة من إشاعة الخوف والقلق من الكل، وبين الكل، ضمن بوتين -أو هكذا ظن- أنه أصبح "سيد اللعبة"، وأن أي محاولة للإخلال بهذا التوازن ستؤدي إلى خسارة الجميع. إذا فكر الجيش في دعم أي محاولة انقلابية للنخبة، فسيتصدى له جهاز الأمن الفيدرالي، وإذا تضامن الأخير مع الجيش، فستتصدى لهما خدمة الحراسة الاتحادية، وإذا تضامن الثلاثة بعضهم مع بعض، فسيتصدى لهم الحرس الوطني، وداخل هذا الحرس الوطني توجد قوات شيشانية، وإذا قررت أن تستغل هذه القوة مركزها للاستقلال فسينقلب الكل ضدها، وإذا فكر الحرس الوطني في الانقلاب، فستتصدى القوات الشيشانية له خشية خسارة ما يتمتع به الشيشان من حكم ذاتي، في حين أن قوات فاغنر قادرة على أن تكون عنصرًا مرجحًا إذا تأزمت الأوضاع، واختلطت الأوراق، وهكذا سيدرك الجميع أن بقاء بوتين فيه مصلحة للكل.

حافظ بريغوجين على التوازن المطلوب عند اندلاع الأعمال العسكرية في أوكرانيا، واستحواذ شويغو على موارد الدولة الاقتصادية والعسكرية، من خلال توجيه الانتقادات والإهانات المتكررة إليه، وهو ما حطّ من قدره وشعبيته الضعيفة أصلًا.

يفسر كلُّ ما سبق قبولَ بوتين وساطة رئيس بيلاروسيا لوكاشينكو لإنهاء تمرد فاغنر والعفو عن قيادتها، إذا سلمنا بفرضية وجود تمرد خارج عن سيطرته، رغم ما قد يلحقه ذلك من أذى لصورته، لكن يمكن معالجة هذه المشكلة لاحقًا؛ لأن البديل هو تدخل الجيش لإنهاء التمرد، وإذا حدث هذا السيناريو يدرك بوتين جيدًا أن قيادته لن تنهي المواجهة إلا بالقضاء التام على فاغنر، سعياً من الجيش لتلميع صورته من جديد والظهور بمظهر الحامي للشرعية والقامع للتمرد ضدها، وبذلك يمحو كل ما لحق به من انتقادات نتيجة الأداء المتواضع في أوكرانيا،

وبالتالي سينتهي الأمر بدمج كل الشركات الخاصة والهياكل العسكرية الرسمية داخل الجيش.

كما أن هذه الفرضية تفسر أيضًا طلب بوتين تحرك قوات رمضان قديروف، التي هي جزء من الحرس الوطني، ومنح الأخير الحق في امتلاك أسلحة ثقيلة ما كان ليرضى بها الجيش في الظروف العادية.

شاعت أثناء وبعد التمرد (وما زالت)، فرضيتان رئيسيتان، وهما:

الفرضية الأولى: أن هذا "التمرد" مُخطَّط له، ربما خرج في بعض فصوله عن السيطرة، لكن في المجمل حقق لبوتين عدة فوائد:

• إيجاد مبرر لتأسيس قواعد لفاغنر في بيلاروسيا؛ لتهديد الجناح الشرقي للناتو، وتوزيع موارده العسكرية على بولندا وبلدان البلطيق بدلًا من تركيزها على أوكرانيا.

• وضع أوكرانيا تحت ضغط إمكانية شن هجوم من بيلاروسيا باتجاه كييف (المسافة بين مينسك وكييف 500 كيلومتر فقط)، ومن ثم تشتيت قوتها لتخفيف وطأة الهجوم المضاد.

• خلق حالة من الرعب في الغرب من إمكانية استحواذ قوى خارج نطاق السيطرة على السلاح النووي.

• الضغط على الغرب باتجاه التفاوض دون انتظار رحيل بوتين كما تأمل بعض القوى الغربية.

• اختبار ولاءات النخبة بعدما حدث من انكسار كبير للثقة بينها وبين بوتين منذ بدء الحرب في أوكرانيا.

• اختبار ولاء الأجهزة الأمنية (يبدو أن بوتين قد تأكد من أن ولاء الحرس الوطني ثابت لبوتين).

• إفساد خطة بعض النخب في اختيار شويغو، أو شخصية أخرى بديلًا عن بوتين.

• تجهيز شعار الحملة الانتخابات الرئاسية لعام 2024: "بوتين أو الفوضى والحرب الأهلية".

الفرضية الثانية: أن ما حدث "تمرد" خارج عن السيطرة:

• ضحى بوتين بجزء كبير من هيبته؛ حتى لا يكسر التوازن الذي حرص عليه من خلال تعاظم دور الجيش وقيادته.

• حافظ بوتين على هيكل فاغنر؛ حتى يرى كيف سيتعامل معها، وحرص على تأكيد وطنيتها، ولم يوجه أي اتهام إلى بريغوجين، وفي المقابل، عالج هذا الخلل بمنح مزيد من القوة للحرس الوطني، الذي ثبت أيضًا أن ولاءه قوي له.

• يمكن للدعاية الرسمية تصوير ما بدا من ضعف لبوتين على أنه "حكمة" لتجنب إراقة الدماء بين الإخوة.

لا يبدو أن أيًّا من الفرضيتين دقيق، وعالم اليوم لا يمكن أن تمضي فيه الأمور بهذا الشكل من الرؤى الحدّية (أبيض- أسود)، فكما يقال: "كل شيء نسبي". بوتين ليس بالشخص الخارق (كما تحاول الدعاية الروسية الرسمية تصويره)، والوضع الروسي أكثر تعقيدًا من هذه التصورات المفرطة في التبسيط. كما أن بريغوجين ليس بالشخص الأحمق، ولا يمكن أن يكون كذلك وقد وصل إلى ما وصل إليه، وهو من أرباب السجون، وخلفيته غير سلافية، في ظل مجتمع سياسي تغلب عليه الشوفينية الروسية.

الأرجح أن بوتين، بسبب عوامل السن، والعزلة المتزايدة مع طول فترة الحكم (23 سنة في السلطة)، وتعثر خططه في أوكرانيا، ورد الفعل الغربي غير المتوقع، سواء في العقوبات التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ، أو الدعم العسكري والسياسي والاقتصادي لأوكرانيا، وعدم وجود خطط جديدة في جعبته، في ظل فهم دوائر صنع القرار الأمريكية لشخصيته جيدًا بعد كل هذه السنوات، كلها عوامل شكلت ضعفًا لقبضته على السلطة، وتراجعًا لصورته في أعين العشائر الروسية المتصارعة من الأوليغارشية. كما أن تكوين شخصية بوتين تجعله لا يقبل بأن يجتهد أي فرد، مهما كان ولاؤه له، ولو كان اجتهاده هذا لصالحه،لا يسمح بأن يُقدِم على أي فعل دون العودة إليه أولًا، ثم الحصول على موافقته، والالتزام بما حدده مسبقًا له.

ما حدث كان صراعًا طبيعيًّا أفرزته المتغيرات التي خلقتها الحرب، وما أعقبها من تطورات وصراع بين نخب قديمة تود الحفاظ على مكتسباتها ونخب جديدة تعاظم دورها بسبب الحرب، وتريد لنفسها مكانة مميزة.

بريغوجين شخصية مثالية لبوتين، خلفيته العرقية، وتاريخه الإجرامي، لا يؤهلانه للتطلع إلى مركز السلطة، كما أنه شخص غير عسكري يملك قوة عسكرية، وسيكون دوره باستمرار محدود التأثير إذا تحول الوضع نحو صراع على السلطة.

يمتلك بريغوجين- كذلك- الخبرة في الإدارة والأعمال التجارية، والديناميكية المطلوبة لإنجاز الأعمال التي تعجز البيروقراطية الروسية عن القيام بها، والكاريزما المطلوبة للسيطرة على قواته، والدفع بها نحو القتال على أرض المعركة، وحماية سلطة الرئيس.

كما أن بريغوجين صمم فاغنر ومؤسساتها المالية على خطى بوتين (بطريقة لا يمكن لأي شخص آخر أن يتولى بسهولة إدارتها دون أن يفقد السيطرة عليها)، وهذا الأمر بالتحديد شكل عنصر الأمان الحقيقي لبريغوجين؛ فالتضحية به- على الأقل الآن- تعني "تراجُعًا من بوتين عن وعده، وستُصوَّر على أنها أقرب ما تكون إلى عملية "ثأر" لا تليق برئيس دولة ترغب في أن تكون عظمى، والأهم خسارة رأس مال بشري واقتصادي في إفريقيا يصعب تعويضه، وتحويل بريغوجين إلى "أيقونة" لدى قطاع لا يُستهان به من السكان.

يُعتقد - إلى حد كبير- أن يظل بريغوجين، حتى يضمن بوتين وجود بديل، أو يتم إرساله إلى إفريقيا لمتابعة عمله هناك بعد تدجينه ووضعه تحت السيطرة بشكل أكبر مما كان عليه سابقًا.

يُتوقع قيام بوتين بعدة جولات وزيارات داخلية، هدفها التأكيد شعبيًّا على مدى ثقته بنفسه، ودعم الشعب له، والأهم إرسال رسالة إلى الخارج أنه ما زال الزعيم القوي المسيطر، وأن انتظار البديل لعقد صفقة أفضل ليس بالخيار الصائب.

رغم كل ذلك علمتنا أحداث التاريخ أن روسيا بلد لا يمكن توقُّع أحداثه؛ لسبب بسيط هو: غياب القواعد، وفي ظل ذلك فكل الاحتمالات- حتى التي تبدو خيالية- يمكن أن تصبح حقيقة واقعية، وعليه فإن مستقبل روسيا يكتنفه الغموض، وهو وضع لا يمكن أن يؤهلها لكي تصبح قوة عظمى أو يضمن حفاظها على نفوذها الخارجي سوى لفترة محدودة من الزمن.

أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

\DimensionsCTR
\DimensionsCTR
\dimensionscenter
\dimensionscenter

info@dimensionscenter.net